

عاشوراء مدرسة الحياة

بقلم
السيد علي البعاج

اصدار

مؤسسة المنبر الحسيني



عاشوراء مدرسة الحياة

بقلم
السيد علي البعاج



عاشوراء مدرسة الحياة

دروس عقائدية وتربوية من نهضة الإمام الحسين
(عليه السلام)

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
الخلق أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فإن عاشوراء ليست حادثةً تاريخيةً انتهت بانتهااء
يوم الطف وليست ذكرى نحيبها ثم نغادرها دون
أثر وإنما هي مدرسة متكاملة في الإيمان والوعي
والكرامة والصبر والتضحية والإصلاح.

لقد وقف الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء أمام
 الانحراف والظلم فقدم أعظم درس للأجيال:
 أن الإنسان قد يخسر الدنيا لكنه لا يخسر نفسه إذا
 بقي ثابتاً على الحق.
 وقد يفقد كل شيء في الظاهر لكنه يريح رضا الله
 وخلود الرسالة.

ومن هنا ينبغي أن نسأل أنفسنا:

ماذا تريد عاشوراء منا؟.

هل تريد منا أن نبكي فقط؟.

هل تريد منا أن نستذكر الحوادث فقط؟.

أم أنها تريد أن نغيّر أخلاقنا وتصحيح سلوكنا
 وتقويّ إيماننا وتجعلنا أكثر مسؤولية في مواجهة
 الباطل؟

إن عاشوراء الحقيقية هي التي تنتقل من الذاكرة إلى السلوك ومن الدموع إلى العمل ومن المنير إلى الحياة.

وهذا الكتيب محاولة للوقوف عند مجموعة من الدروس التي يمكن للإنسان أن يستلهمها من قصة الإمام الحسين (عليه السلام) ليجعل من كربلاء طريقاً لإصلاح نفسه ومجتمعه.



الدرس الاول

الثبات على المبدأ

من أعظم دروس عاشوراء أن الإنسان لا يبيع دينه ومبادئه مهما اشتدت الضغوط.

لقد وقف الإمام الحسين (عليه السلام) أمام واقع سياسي واجتماعي ضاغط وكان يعلم أن الطريق الذي اختاره ليس طريق الراحة ولا طريق المكاسب الدنيوية ومع ذلك لم يتراجع عن موقفه. وهنا نتعلم أن الحق لا يُقاس بعدد أتباعه.

قد يكون الإنسان على الحق ومعه القليل وقد يكون الباطل محاطاً بالأتباع والقوة والإمكانات ولكن كثرة الأتباع لا تجعل الباطل حقاً كما أن قلة الأنصار لا تجعل الحق باطلاً.

١: الثبات امتحان

كثير من الناس يستطيعون الحديث عن المبادئ عندما تكون الظروف مريحة ولكن الامتحان الحقيقي يبدأ عندما يصبح الالتزام بالمبدأ مكلفاً. قد يتعرض الإنسان لضغط من الناس أو يخاف من خسارة مصلحة أو يخشى كلام الآخرين فيتنازل شيئاً فشيئاً عن مبادئه.

وهنا تأتي عاشوراء لتقول لنا:

لا تجعل ثمن المحافظة على الحق سبباً لبيع الحق. إن المؤمن يحتاج إلى بصيرة تجعله يعرف أين يقف وإرادة تجعله ثابتاً عندما يشتد الاختبار.

٢: الثبات في حياتنا

الثبات لا يعني أن الإنسان لا يخاف ولا يتألم وإنما يعني ألا يسمح للخوف والألم بأن يجعلاه يتخلى عن الحق.

الثبات يكون في الصلاة عندما يتركها الآخرون وفي الصدق عندما يكون الكذب أكثر رجاءاً وفي الأمانة عندما تكون الخيانة أكثر منفعة وفي العفة عندما تنتشر المغريات وفي نصرة المظلوم عندما يكون الصمت أسهل.

فكل إنسان له كربلاؤه الخاصة وله لحظات يحتاج فيها إلى أن يختار بين الحق والمصلحة.

والسؤال الذي ينبغي أن نسأله لأنفسنا: عندما أختبر إلى أي جهة أميل؟.

الدرس الثاني

الكرامة ورفض الذل

من الشعارات الخالدة في مدرسة الإمام الحسين
(عليه السلام):

١: هيهات منا الذلة

إنها ليست مجرد كلمة قيلت في لحظة تاريخية وإنما
هي منهج في حياة المؤمن.
فالإنسان الذي كرمه الله تعالى لا ينبغي له أن يجعل
نفسه أسيراً للباطل ولا أن يقبل المهانة في دينه
وضميره وكرامته.

٢: الكرامة لا تعني التكبر

الكرامة شيء، والكبر شيء آخر.
المؤمن متواضع مع الناس رحيم بهم حسن الأخلاق
لكنه لا يتنازل عن الحق من أجل إرضاء الآخرين.
قد يكون الإنسان فقيراً لكنه عزيز.
وقد يكون ضعيفاً من الناحية المادية لكنه قوي
بالإيمان.
وقد يخسر شيئاً من الدنيا لكنه يحافظ على كرامته
ودينه.



٣: الذل الحقيقي

ليس الذل أن يخسر الإنسان مالاً أو منصباً.
الذل الحقيقي أن يعرف الإنسان الحق ثم يتركه خوفاً
من الناس.
والذل الحقيقي أن يبيع ضميره من أجل مصلحة.
والذل الحقيقي أن يتحول الإنسان إلى تابع للباطل
بعدها كان يعرف أنه باطل.
ولهذا فإن عاشوراء تربي الإنسان على أن يكون
عبداً لله وحده لا عبداً للشهوات ولا للأهواء ولا
للمصالح.

الدرس الثالث

التضحية في سبيل الرسالة

لم تكن نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) مشروعاً
شخصياً يبحث فيه الإنسان عن مصلحة لنفسه بل
كانت موقفاً لحماية الدين والقيم والإصلاح.
وقدّم الإمام (عليه السلام) في سبيل ذلك أعلى ما يملك
وقدم أهل بيته وأصحابه أعظم صور التضحية.



١: لا رسالة بلا ثمن

كل مشروع عظيم يحتاج إلى تضحية.
 فالنجاح يحتاج إلى صبر والعلم يحتاج إلى جهد
 وتربية الأبناء تحتاج إلى وقت وإصلاح المجتمع
 يحتاج إلى شجاعة وبناء الإنسان المؤمن يحتاج إلى
 مجاهدة للنفس.

ومن يريد النتائج دون أن يدفع ثمنها سيقبى أسير
 الأمنيات.

إن الإنسان قد يقول:
 أريد أن أكون صالحاً ولكن لا أريد أن أترك عاداتي
 السيئة.

أريد أبناءً صالحين ولكن لا أريد أن أتعب في
 تربيتهم.

أريد مجتمعاً مستقيماً ولكن لا أريد أن أتحمل
 مسؤولية الإصلاح.

وهنا تعلمنا عاشوراء أن الأمنيات وحدها لا تصنع التغيير.

٢: التضحية تبدأ من النفس

ليس مطلوباً من كل إنسان أن يقدم حياته ولكن
المطلوب أن يقدم شيئاً من نفسه لله.
أن يضحي بوقته في العبادة.
أن يترك ذنباً يحبه.
أن يضبط غضبه.
أن يتحمل من أجل أسرته.
أن يساعد محتاجاً.
أن يقول كلمة حق.
فربما تكون أعظم تضحية يقدمها الإنسان هي أن
ينتصر على نفسه.

الدرس الرابع

المسؤولية وعدم السكوت عن الانحراف

لم يكن الإمام الحسين (عليه السلام) إنساناً يعيش لنفسه بل حمل همّ الأمة والإصلاح. وهذا يعلمنا أن المؤمن لا يعيش منفصلاً عن مجتمعه. فالإنسان مسؤول عن نفسه ومسؤول عن أسرته ومسؤول عن أثره في المجتمع بحسب قدرته وموقعه.

١: لا تكن متفرجاً

من الأخطاء الخطيرة أن يتحول الإنسان إلى متفرج على الخطأ. يرى الظلم ويسكت.

يرى الانحراف ويسكت.
 يرى فساد الأخلاق ويسكت.
 يرى أبناءه يبتعدون عن الدين ويسكت.
 يرى شخصاً يُظلم ويقول: لا علاقة لي.
 لكن المجتمع الذي يسكت الجميع فيه عن الخطأ
 يتحول الخطأ فيه مع مرور الزمن إلى أمر طبيعي.
 ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من
 مسؤوليات المجتمع المؤمن مع مراعاة الحكمة
 والقدرة والأسلوب الصحيح.

٢: الإصلاح يبدأ بالكلمة

ليس كل إصلاح مواجهة وصداماً.
 قد تكون كلمة طيبة.
 وقد تكون نصيحة في وقتها.
 وقد يكون تعليم طفل.

وقد يكون نشر معلومة صحيحة.
وقد يكون موقفاً أخلاقياً يجعل الآخرين يراجعون
أنفسهم.
فليبحث كل واحد منا عن موقعه في مشروع
الإصلاح.



الدرس الخامس

الوفاء والإخلاص

من أجمل الصور التي بقيت في ذاكرة عاشوراء
صورة أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام).
كان بإمكانهم أن ينسحبوا وكان الطريق أمامهم
مفتوحاً في بعض المراحل لكنهم اختاروا الوفاء.
لقد أثبتوا أن الصداقة الحقيقية لا تظهر في أوقات
الراحة وإنما تظهر عندما تكون الصداقة مكلفة.

من هو الصديق الحقيقي؟

ليس الصديق الحقيقي من يضحك معك فقط.
الصديق الحقيقي هو الذي ينصحك إذا أخطأت.
يمنعك من الحرام.

يقف إلى جانبك في الشدة.
لا يبيعك من أجل مصلحة.
ولا يتخلى عنك عندما تتغير الظروف.
وفي المقابل يجب على الإنسان أن يسأل نفسه:

هل أنا وفي لأصدقائي؟
هل أحفظ أسرارهم؟
هل أذكرهم بالخير في غيابهم؟
هل أنصحهم عندما يخطئون؟
هل أقف معهم عندما يحتاجون إليّ؟
إن الوفاء من أخلاق المؤمنين، والغدر من أخلاق
النفوس الضعيفة.

الدرس السادس

الصبر عند البلاء

كربلاء مدرسة عظيمة في الصبر.
مصائب متتابة وفقد الأحبة والعطش والخوف
والحصار ومع ذلك بقيت القلوب متعلقة بالله.

١: ما معنى الصبر؟

الصبر ليس أن الإنسان لا يحزن.
فالحزن طبيعة بشرية.
ولكن الصبر يعني ألا يتحول الحزن إلى اعتراض على
الله وألا يدفع البلاء الإنسان إلى ترك الدين أو
ارتكاب الحرام.

قد يبكي الإنسان ولكنه لا يفقد إيمانه.

قد يتألم ولكنه لا يظلم.

قد يخسر ولكنه لا ييأس.

٢: البلاء يكشف حقيقة الإنسان

في أوقات الراحة قد يبدو الجميع أقوياء.

ولكن عندما تأتي المحنة تظهر حقيقة الإيمان.

وهنا ينبغي أن نربي أنفسنا على أن نقول عند

المصائب:

إنا لله وإنا إليه راجعون.

وأن نثق بأن الله تعالى لا يضيع عمل المؤمن وأن

وراء البلاء حكماً قد لا يدرك الإنسان بعضها في

لحظته.

الدرس السابع

دور المرأة الرسالي

إذا كانت كربلاء قد شهدت التضحية في الميدان
فإن ما بعد كربلاء شهد رسالة عظيمة حملتها
العقيلة زينب (عليها السلام).

لقد كان دورها أساسياً في حفظ الوعي وبيان
الحقيقة وكشف ظلم الظالمين.

١: المرأة ليست خارج مشروع الإصلاح

الإسلام لم يجعل المرأة عنصراً هامشياً في صناعة
المجتمع.

فالمرأة أم ومربية ومعلمة ومثقفة وصاحبة موقف.

وإذا صلحت المرأة صلحت أجيال كثيرة وإذا
امتلك الوعي استطاعت أن تنقل الوعي إلى أبنائها
ومحيطها.

ومن هنا ينبغي أن نتعلم من السيدة زينب (عليها السلام)
قوة الشخصية والوعي والصبر والشجاعة والقدرة
على حمل المسؤولية.

٢: السيدة زينب (عليها السلام) مدرسة

كانت تعرف حجم المصيبة لكنها لم تسمح للمصيبة
أن تسلبها رسالتها.
وهذا درس عظيم:
قد يتألم الإنسان ولكن عليه ألا يسمح للألم بأن
يقتل رسالته.

الدرس الثامن

التربية الصالحة وصناعة الجيل الحسيني

عندما ننظر إلى شباب كربلاء، مثل علي الأكبر (عليه السلام) والقاسم بن الحسن (عليه السلام) نجد نماذج مشرقة لشباب تربوا على الإيمان والوعي والشجاعة.

وهذا يقودنا إلى قضية مهمة جداً:

ما الذي نربي أبناءنا عليه؟

هل نربيهم على المظاهر فقط؟

أم نربيهم على الصدق والأمانة والصلاة والرحمة

واحترام الآخرين وتحمل المسؤولية؟

١: الأبناء مشروع المستقبل

الأب الذي يريد أبناءً صالحين يجب أن يبدأ بنفسه.
فالطفل لا يتعلم من كلام أبيه فقط بل يتعلم من سلوكه.

إذا رأى الأب صادقاً تعلم الصدق.
إذا رأى الأم محافظة على الصلاة تعلم أهمية الصلاة.
إذا رأى الأسرة تحترم الآخرين نشأ محترماً.
أما إذا كان الكلام شيناً والسلوك شيناً آخر فإن
الطفل سيتعلم من السلوك أكثر مما سيتعلم من
المواعظ.

٢: التربية الحسينية

التربية الحسينية تعني أن نربي أبنائنا على:
محبة الله.

محبة النبي وأهل بيته (عليهم السلام).

الصلاة والعبادة.

الصدق والأمانة.

نصرة المظلوم.

احترام الوالدين.

خدمة الناس.

الشجاعة في الحق.

ضبط النفس.

تحمل المسؤولية.

فليس الهدف أن يعرف الطفل اسم الامام الحسين

(عليه السلام) فقط بل أن تظهر أخلاق الامام الحسين

(عليه السلام) في شخصيته.

الدرس التاسع

أن الدم ينتصر على السيف

قد يظن الإنسان أن القوة المادية هي التي تصنع
النصر.

لكن التاريخ أثبت شيئاً آخر.

قتلوا الامام الحسين (عليه السلام) ولكنهم لم يستطيعوا
قتل قضيتة.

انتهى الذين أرادوا إسكات صوته وبقي صوته
حاضراً في ضمير الأمة.



١: ما الذي بقي؟

بقيت عاشوراء.

بقي اسم الامام الحسين (عليه السلام) خالدا.

بقيت قيم التضحية والكرامة والإصلاح.

وبقيت كربلاء مدرسة يتعلم منها الملايين بعد قرون طويلة.

وهنا نفهم أن الانتصار ليس دائماً انتصاراً عسكرياً أو مادياً.

قد يخسر الإنسان المعركة الظاهرية لكنه ينتصر في التاريخ.

وقد يملك الباطل القوة لفترة لكنه لا يستطيع أن يضمن الخلود.

٢: القوة الحقيقية

القوة الحقيقية ليست دائماً في السلاح.

قد تكون في الكلمة الصادقة.

وقد تكون في الموقف.

وقد تكون في الصبر.

وقد تكون في الإنسان الذي يرفض أن يبيع ضميره.

ولهذا فإن على المؤمن ألا يستهين بأثر عمله الصالح

ولو كان صغيراً.

فالكلمة الطيبة قد تعيش بعد صاحبها.

والكتاب قد يصل إلى أجيال.

والتلميذ الذي تربيته قد يصبح مصلحاً.

والعمل الصالح قد يفتح باباً من الخير لا ينتهي.

الدرس العاشر

الأكبر: إصلاح النفس

ربما يكون هذا هو الدرس الذي ينبغي أن نقف عنده طويلاً.

فعاشوراء ليست قصة نبكيها فقط.
ولست موسمًا ينتهي بانتهاء أيام العزاء.
إنما عاشوراء رسالة تريد أن ترى أثرها فينا.

١: ماذا تغير فينا الحسين؟

إذا حضر الإنسان المجالس الحسينية ثم عاد إلى
الكذب فما الذي تعلمه؟
إذا بكى على الامام الحسين (عليه السلام) ثم ظلم الناس
فأين أثر عاشوراء؟

إذا تحدث عن مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) ثم أساء
 إلى زوجته وأولاده وجيرانه فأين المدرسة الحسينية؟
 إذا أقام الشعائر ثم بقي مصرّاً على الحرام فهل
 انتقلت عاشوراء إلى سلوكه؟
 إن أعظم وفاء للإمام الحسين (عليه السلام) أن نحاول أن
 نكون أفضل.

٢: ابدأ بنفسك

قبل أن تسأل: لماذا فسد المجتمع؟
 اسأل:

هل أصلحت نفسي؟

قبل أن تلوم الشباب:

هل قدمت لهم القدوة؟

قبل أن تتحدث عن الانحراف:

هل راجعت أخلاقك؟

قبل أن تطالب الآخرين بالصلاة:
هل أنت محافظ عليها؟
فالإصلاح الحقيقي يبدأ من الداخل.



الدرس الحادي عشر

كيف نجعل عاشوراء مشروعاً في حياتنا؟

لكي لا تبقى عاشوراء مجرد ذكرى يمكن لكل
إنسان أن يضع لنفسه مشروعاً عملياً.

١: مشروع إصلاح النفس

اختر ذنباً واحداً وحاول أن تتركه.
واختر خلقاً سيئاً وحاول أن تعالجه.
واختر عبادة مقصراً فيها وحافظ عليها.

٢: مشروع الأسرة

اجعل في بيتك وقتاً للحديث عن أهل البيت
(عليهم السلام).

علم أبناءك شيئاً من سيرة الإمام الحسين (عليه السلام).
واجعل أخلاقك داخل البيت جزءاً من رسالتك
الحسينية.

٣: مشروع خدمة الناس

ابحث عن إنسان يحتاج إلى مساعدة.
قد تكون المساعدة مالاً.
وقد تكون وقتاً.
وقد تكون كلمة طيبة.
وقد تكون قضاء حاجة.

فالحسين (عليه السلام) لا نُحْيِيهِ بالكلام فقط وإنما نُحْيِي
قِيَمَهُ فِي حَيَاتِنَا.

٤: مشروع الوعي

اقرأ.

تعلم.

ناقش بهدوء.

لا تنقل كل ما تسمعه.

وتأكد من المعلومات قبل نشرها.

فالمجتمع الواعي أصعب على الانحراف أن يخدعه.

٥: مشروع الموقف

لا تجعل رضا الناس هو المعيار الوحيد لحياتك.

تعلم أن تقول: لا عندما يكون الشيء خطأ.
وتعلم أن تقول: نعم عندما يكون الشيء حقاً.
ولكن افعل ذلك بالحكمة والأخلاق.



الدرس الثاني عشر

ماذا أخذنا من الامام الحسين (عليه السلام)؟

بعد كل هذه الدروس ينبغي أن نجلس مع أنفسنا
ونسأل:

ماذا أخذت من الحسين؟

هل أخذت منه الثبات؟

هل أخذت منه الكرامة؟

هل أخذت منه التضحية؟

هل أخذت منه الصبر؟

هل أخذت منه الوفاء؟

هل أخذت منه الإصلاح؟

هل أخذت منه الشجاعة؟

هل أخذت منه محبة الله؟

إن هذه الأسئلة ليست للآخرين بل لكل واحد منا.

فالإمام الحسين (عليه السلام) لا يحتاج منا أن نمدحه فقط
وإنما يحتاج أن نتعلم منه.

الخلاصة

عاشوراء عهدٌ مع الله
عاشوراء ليست يوماً في التقويم.
إنها عهد.
عهد أن لا نبيع الحق.
عهد أن لا نرضى بالظلم.
عهد أن نحفظ كرامتنا.
عهد أن نربي أبنائنا على الإيمان.
عهد أن نقف مع المظلوم.
عهد أن نصلح أنفسنا.
وعهد أن نحمل رسالة أهل البيت (عليهم السلام) بأخلاقنا
وسلوكننا قبل كلماتنا.
لقد انتهى يوم عاشوراء ولكن رسالته لم تنتهِ.

سقطت الأجساد وبقيت المبادئ.
 غابت الأشخاص وبقيت الرسالة.
 مضت السنوات والقرون وبقي الامام الحسين
 (عليه السلام) حياً في ضمير الأحرار.
 ولهذا فإن السؤال الحقيقي ليس: ماذا حدث في
 كربلاء؟.

فقد قرأناه وسمعناه.

وإنما السؤال الأهم: ماذا ستصنع كربلاء في حياتي؟
 فإذا جعلتنا عاشوراء أكثر إيماناً وأكثر صدقاً وأكثر
 رحمة وأكثر شجاعة وأكثر التزاماً وأكثر قرباً من الله
 فقد فهمنا رسالتها.

أما إذا انتهت عاشوراء وبقيت أخلاقنا كما هي
 وبقيت ذنوبنا كما هي وبقي تقصيرنا كما هو فإننا
 بحاجة إلى أن نعيد قراءة عاشوراء من جديد.

والحمد لله رب العالمين.